الولاية ولوازمها عند الجزار

إعداد

صابر احمد عبدالله

ملخص بحث الولاية ولوازمها عند الجزار

للولاية عند الصوفية اهتمام كبير ولقد لفت الأنظار هذا المفهوم عند الكثير من الباحثين المهتمين بقضايا الفكر الصوفي، وأصبحت من أكثر المسائل التي لها رواج فكري.

وقد اهتم احمد الجزار في سرده لهذه الإشكالية بنظره إليها من عدة جوانب ويحيط هذه الجوانب بالمنهج المقارن، ويجيب على الأسئلة التي تفسير في ما يدور في الأذهان في هذه القضية التي تمثل الغاية المثلى عند الصوفية في عصرنا هذا وفى كل عصر ،فإن الولاية مرتبة عالية من مراتب الكمال في العبادة القائمة على الإخلاص الكامل لله تعالى كما دلت على هذا النصوص الدينية قرآناً وسنة .

وخلصت الدراسة الى الاتي:

أولا: أن مفهوم الولاية بوصفها محض هبة لا يتعارض مع كونها اكتساب .

ثانيا: هناك فرق جلي وواضح بين الولاية والاجتباء.

ثالثا: جواز وقوع الكرامة لخلق الله تعالى.

رابعا: أن أعمال القلوب لها أهمية عظيمة في زيادة خشوع الجوارح.

خامسا: العبادات مليئة بالأسرار الروحانية والعروج الروحاني لا يتم الا من خلال اتقانها واعطائها حقها ومستحقها وما كان موافقا للكتاب والسنة.

سادسا: أن الضابط للأحكام العملية مختلف تماما عن الضابط لأعمال القلوب.

سابعا: أن للعبادة الحقيقة دور مهم في الاتزان النفسي للإنسان، والوقاية من الامراض النفسية التي تحيط بالإنسان.

Summary of state research and supplies at the butcher

Guardianship among Sufis is of great interest, and this concept has drawn the attention of many researchers interested in issues of Sufi thought, and it has become one of the most popular issues intellectually.

In his narration of this problem, Ahmed Al-Jazzar took care to look at it from several aspects, and he surrounds these aspects with a comparative approach, and answers the questions that explain what is on our minds in this issue, which represents the ideal goal for Sufism in our era and in every era. Guardianship is a high rank of Levels of perfection in worship based on complete devotion to God Almighty, as indicated by the religious texts of the Qur'an and Sunnah.

The study concluded as follows:

First: The concept of guardianship as a mere gift does not conflict with it being an acquisition.

Second: There is a clear and clear difference between guardianship and hiding.

Third: It is permissible for dignity to be granted to God Almighty's creation.

Fourth: The actions of the hearts are of great importance in increasing the humility of the limbs.

Fifth: Worship is full of spiritual secrets and spiritual ascension can only be achieved by mastering it and giving it what it deserves and what is in accordance with the Qur'an and Sunnah.

Sixth: The guide to practical judgments is completely different from the guide to the actions of the heart.

Seventh: True worship has an important role in a person's psychological balance, and in preventing psychological diseases that surround the person.

مقدمة

إن الرجوع إلى الكتاب والسنة في فهم قضايا التصوف من اهم الركائز الاصولية التي تضع التصوف في مكانه الصحيح بوصفه المعراج الروحي والإيماني، ومن أجل ذلك حتى يتبين لنا ما يتناسق مع مراتب الاسلام ، وفي ثنايا هذا البحث سوف نستعرض بعض قضايا التصوف والفكر العربي ، التي اخذت كثيراً من اللغط كالولاية وما يصح فيها وما ليس منها وعلاقة الولاية بالكرامة والاستقامة، وهل الولاية محض هبة أم اكتساب؟ ، وكذلك قضية التصوف وحقيقة أعمال القلوب وهى التي تدور حول اصل الشريعة والحقيقة وهو مقصد السادة الصوفية ،واعتناء التصوف وصلته بالقلب وكذلك التصوف والاخلاق وكيف ان الاخلاق نسيج من انسجة ثوب الايمان وان الاخلاق والتصوف عمله واحده ومبنى هذه المعارف وهذه الحقائق وهذه القضايا وهى راجعه الى علاقة التصوف بالعلم سواء العلم في ذاته أي علم التصوف والعروج الروحي او سائر العلوم والمعارف في الحياه وكيف ان التصوف ليس ببعيد من الحياه المادية أو السنن الكونية أو حضارة بنى الانسان .

منهج البحث:

سأعتمد في هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي.

أهمية الموضوع.

أولا :لما تحتله مسالة الولاية والكرامة من الأهمية عند الصوفية.

ثانيا: إزالة اللبس الحاصل في الاذهان عند الكثير في هذه المسالة وكذلك إزالة اللبس الحاصل عند الكثير في مساله الحقيقة والشريعة.

ثالثا: خطورة الغلو والتفريض في أعمال المسلم وأن المنهج الحقيقي هو المنهج الوسطي الصحيح.

سبب اختيار الموضوع.

أولا: لبيان المعنى الموافق لمراد الشرعي للولاية وضوابطه.

ثانيا: لإيضاح الفروق بين الولاية والكرامة والاجتباء.

ثالثا: تحقيق مسالة الحقيقة والشريعة والميزان المعتدل بينهما.

أولا: مفهوم الولاية ولوازمها .

إن الولاية عند الصوفية لها الاهتمام الكبير ولقد لفت الأنظار هذا المفهوم، وأصبحت من أكثر المسائل التي لها رواج فكري.

ونرى أحمد الجزار في سرده لهذه الإشكالية ينظر إليها من عدة جوانب ويحيط هذه الجوانب بالمنهج المقارن، ويجيب على الأسئلة التي تفسير في ما يدور في الأذهان في هذه القضية التي تمثل الغاية المثلى عند الصوفية في عصرنا هذا وفى كل عصر ،فإن الولاية مرتبة عالية من مراتب الكمال في العبادة القائمة على الإخلاص الكامل لله تعالى كما دلت على هذا النصوص الدينية قرآناً وسنة (١).

فالقرآن والسنة يقرران معنى الولاية وضوابط الولاية فإن أحمد الجزار يأتي دائماً بالمصدر من خلال الكتاب السنة إذا الولي بمعنيين أحدهما: أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول وجريح بمعنى مقتول، وهو الذي يتولى الحق حفظة وحراسته فلا يكله إلى نفسه لحظة ، وثانيهما: أن يكون فعيلاً مبالغة من الفاعل كالحليم القدير معناه من يتولى عبادة الله وطاعته ومن ثم فطاعته تجرى على التوالي (٢).

---

(١) وردت كلمة الولاية مرتين في القرآن، أما مشتقات الولاية فمنها الولي، وجمعة أولياء فالأول ورد في القران، في أربع وأربعين موضعاً ،أما الثاني فقد ورد في اثنين وأربعين، أنظر: أحمد الجزار، الفكر المصري المعاصر والتصوف، مكتبة الثقافة الدينية ،٢٠٠٦ ص٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٧١.

ويرى أحمد الجزار أن الجمع بين الشرطين شيء ضرورياً، وأساس الولي مع الدوام، فلابد من الوسائل تأخذ حكم المقاصد ولكن المهم أن يصبح من أهل الله وخاصته، فدائماً يحكم على كل حركة وسكون أنها دائماً من صفات القرب والطاعة لله تعالى حساً ومعناً.

ويرى أحمد الجزار أن المعنى الأخير للولاية حقاً متاحا لكل المؤمنين كما دلت عليه النصوص **القرآنية والحديث القدسي بشأن الولاية) (١).**

"والولاية بهذا المعنى لا تكون متاحة لبعض الناس دون البعض الأخر، إذا الأعمال الدينية إنما تصدر عن الملكات والعزائم الروحية، ومن ثم فولاية كل شخص بحسب قدراته مواهبة ولا غرابة في أن نقول أن هناك صوراً عديدة في تجارب الصوفية المسلمين"(٢).

وهذا لا يتعارض بأن الولاية بمحض فضل من الله تعالى، ونور موهوب ليس بمحض المجهود، حيث أن العمل نفسه فضل من الله وصحبة هذا العمل أيضاً فضل من الله، فلا تعارض بين الاجتهاد وبين الهبات قال تعالى (قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ)(٣).

والسؤال إذا كانت الولاية محض فضل فلماذا الاجتهاد ؟

الجواب (الولاية بوصفها في المقام الأول، وهباً من الله لبعض عبادة، وهذا هو رأي الهجويري أنها من مواهب الحق لا من مكاسب العبد، وعلة الأمر عنده ترتد إلى أن الكسب لا يصير علة لحقيقة الهداية(٤).

---

(١) أحمد الجزار، التصوف عند رواد الفكر المصري المعاصر، ص٣٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٤) أحمد الجزار، المعرفة عند أبي سعيد ابن أبي الخير،الطبعة الاولى منشائة المعارف ، الاسكندرية٢٠٠٠م ص٦١.

والمجاهدة والرياضة لابد للعبد من المرور على هذه الحقيقة، ثم من لوازم الولاية الاجتباء: (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) (١) ويرى أحمد الجزار أن الاجتباء (وهو ما يعبر عن بالجزبة الإلهية) إذ الوصول إلى الولاية محض فضل واجتباء، سواء كان من أجل السير والمجاهدة والرياضة أو من أصحاب الجزبة الإلهية، ويرى أحمد الجزار :أن العبد إن حصل له هذا الجهد فلا شك يصبح أهلاً لاختصاصه بمحض ولايته شهودا بالألوهية وكشفا لربوبيته، لأن قلبه في تلك الحالة سيكون فعلاً لأنواره وموطناً لفيض علمه) (٢) إذا من أسباب الجزية الإلهية أو الاجتباء باب المجاهدة وهي من فضل الله كرماً، ليس غير ذلك، ولذلك فإن التقصير أو الذنوب لا يمنع في حق الأولياء (فإن قبل فهل يكون الولي معصوماً) (٣).

فالجواب للقشيري-رحمه الله- وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصر على الذنوب، وإن حصلت هنات وآفات أو زلات، فلا يمنع ذلك في وصفهم) (٤).

"ومن لوازم الولاية الاستقامة على منهج الشريعة والدوام على ذلك "وينبني على هذا أن يكون من أوصاف الولي في ولايته استواء ظاهره وباطنة في ولايته لله تعالى"(٥).

لأن الولي دائماً مشغولاً بالله تعالى في حركاته وسكناته مع دوام المراقبة والرضا والتسليم كما يرى أحمد الجزار واستواء ظاهرة وباطنة: فالسريرة إذا كانت أقبح من العلانية فذلك جور، فإذا استوت السريرة والعلانية فذلك العدل، وإذا فصلت السريرة على العلانية فذلك الفضل) (٦)، وذلك لأن الولي توجهه الحقيقي لله تعالى وهذا هو المعنى الحقيقي للولاية.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) أحمد الجزار، المعرفة عند أبي سعيد ابن أبي الخير، ص٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص٦٣.

(٤) الإمام ابوالقاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق العارف بالله الامام عبدالحليم محمود محمود بن الشريف مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ١٤٠٩هـ-١٩٨٩ م ص٥٦٦.

(٥) أحمد الجزار، المعرفة عند أبي سعيد ابن أبي الخير، ص١١٦.

(٦) عبد الحليم محمود، الطريق إلى الله "كتاب الصدق لأبن سعيد الحراز، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ص٢٣.

(روى عن سفيان الثوري- رحمه الله-، أنه قال: ما أعبأ بما يظهر من عملي ويرى في الحديث "أن عمل السر يفضل على عمل العلانية سبعين ضعفاً) (١).

وخلاصة مفهوم الولاية ولوازمها عند أحمد الجزار في ظل الشرع الشريف تتجلى عند المؤلف بأن مفهوم الولاية عند الرازي-رحمه- استلهمه من القرآن والخبرة والأثر مع المعقول، سواء فيما يتعلق بولاية الله تعالى للعبد أو ولاية العبد لله تعالى، وباعتبارها مسألة متبادلة بين العبد وربه) (٢).

إضافة إلى أن أوصاف الأولياء العارفين تجمع وصف المقرب الحقيقي، والمعرفة الإلهية، والتحقق للمكشفات الذوقية والترقي الروحي.

"يقول الإمام أبو القاسم الجنيدي – رحمه الله- ، قال وهو يصف العارف (من إذا نطق عنك وأنت ساكت)، وهو وصف موغل في تجسيد الولاية كونها سراً ينطق عن الشر، وإن كان موئلاً في الوقت نفسه في البعد عن العقلانية التي تشكل معها النطق بالأسرار لأنها تأخذ العموم ولا تأخذ بالخصوص، وتتوجه إلى العقول ولا تتوجه إلى الأسرار ولكن لا تقاس الولاية بمقياس العقول المحدودة بحدود ما تفكر فيه" فالولاية بعيدة عن حدود العقول المعروفة بحدود ما تفكر فيه (٣).

ويرى أحمد الجزار (أن تصور الولاية ومكانتها بهذه الكيفية عند الرازي يجعلها كسباً لا وهباً، لأن الكل حينئذ يستطيع في هذه الحالة أن يبلغ من خلالها مبلغاً في المعرفة بالله، ثم يختلف الرازي عما ذهب إليه بعض الصوفية لما جعل بعضهم الولاية وهباً في المقام الأول، إذ الولي من تولاه إليه كما يقول ابن عطاء -رحمه الله- (٤).

---

(١) المصدر السابق، ص٢٣.

(٢) أحمد الجزار، كتاب تذكاري مقام عالم وطريقة فكر، مقدمة عصمت نصار، ومجدى ابراهيم ، نخبة من اساتذة الجامعات المصرية تصدير محمد عثمان الخشت مطبعة العمرانية ٢٠٢١م ص٤٠٩.

(٣)مجدي محمد إبراهيم، حديث الولاية، إضاءات معرفية للدعائم والمرتكزات والثقافة الدينية، القاهرة ٢٠١٨.ص٧٠.

(٤)- أحمد الجزار، فخر الدين الرازي والتصوف، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م.، ص١٢٦.

فقد أصاب الجزار: "حين استدل على نزعة الرازي، الصوفية من واقع مصادره، وبالتحديد من خلال كتابة التفسير الكبير وفيما يتعلق بحظوظ الأولياء"(١).

وجمع وتسجيل أراء المحققين ترسخ الإلمام بالمعرفية الذوقية ومنه الجواب الشافي بمفهوم الولاية الذي حظى بكثير من اللغط بين بعض الصوفية، حيث أن مفهوم الولاية يحمل المقام الأول في عالم التصوف.

الولاية والكرامة.

تحتل قضية الكرامة عند الصوفية مكانة عالية وتقع بين الأفراد.

تارة وبين التفريط تارة أخر ولكن الإشكالية الحقيقية في قضية الكرامة أنها تصدر المعتقد وتتحكم في التوجه عند بعض الطرق الصوفية ولا أقول الكل يعيش أو يتناسى البعض أن الاستقامة بألف كرامة ويضع أحمد الجزار المرجعية المثلى في هذا المقام ويأصل ويفصل لهذه المسألة.

(دليل ذلك وقوفه بعد مسألة الكرامة فلا يتعجب من قبول الرازي لوقوع الكرامات شأنه شأن غيره من الأشاعرة فيحل أصحاب هذه المذاهب يقولون بذلك اللهم إذا استثنيا الإمام الاسفرائيني، لأن الصالحين كما يقول الأشعري مؤسس المذاهب يجوز أن يخصهم الله عز وجل بآيات ويظهر ما عليهم موقف الأشاعرة هو بعينة موقف أهل السنة والجماعة) (٢).

ومادام ذلك كذلك فهل يستحق الولي أن يظهر كرامته بسبب قصد الهداية، وقد يمكن أن تظهر الكرامة من الولي دون قصد منه أي في حال الغيبة أم من ظهرت في حالة صحوه .

---

(١) أحمد الجزار، كتاب تذكاري مقام عالم وطريقة فكر، مقدمة عصمت نصار، ومجدى ابراهيم ، ص٤٠٩.

(٢)أحمد الجزار، كتاب تذكاري مقام عالم وطريقة فكر، مقدمة عصمت نصار، ومجدى ابراهيم ص٤٠٩.

أثبت الجزار أن الصوفية تجمع على أن الأولياء الكاملين كانوا يخفون أحوالهم وكراماتهم من الناس إلا ما ظهر منها دون تعمد(١).ووجود الكرامة أصل لا ينفك عند الصوفية وذلك.

ومن المبادئ والقواعد الراسخة عند المحققين من السادة الصوفية "يقول سهل التستري–رحمه الله– وهو الإمام المتزن – يحذر الأولياء فيقول: ولو أن واحداً دخل بستاناً فيه أشجار كثيرة، وعلى كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح، السلام عليك يا ولي الله، فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكور"(٢).

ومن أجل ذلك الجانب كانوا يخفون كراماتهم حتى لا يشغلهم شاغل عن الله تارة، وعن البعد عن الفتنة تارة، وستر حالهم مع الله تارة.

ويثبت لنا أحمد الجزار هذه الحقيقة في كتاباته ويصرح فيقول :" فالأولياء الكاملون إذا لا ينبغي لهم أن يفتتون بالكرامة أو المباهاة بها ولعل هذا هو ما فطن إليه السلمي –رحمه الله– معاصر أبي سعيد بن أبي الخير فقد حذر من أن يفتتن نفس الولي بالولاية"(٣).

فإن ظهرت "فالأصل ليس هو المباهاة بالكرامة بل إصلاح التقوى وهداية بعض الخلق) (٤).وهل تظهر في حال الغيبة أم في حال الصحو؟

---

(١) أحمد الجزار المعرفة عند أبي سعيد ابن أبي الخير، ص١٠٣.

(٢) عبد الحليم محمود، العارف بالله سهل بن عبد الله التستري، حياته وآراءه، دار المعارف، القاهرة، ص١٢١.

(٣) أحمد الجزار والمعرفة، عند أبي سعيد ابن أبي الخير، ص١٠٨.

(٤) المصدر السابق، ص١٠٣.

ويجيب الجزار "أن مقام الأولياء دون مقام الأنبياء وينبغي ألا يظل هذا الأمر مفهوماً تماماً فيما يتعلق بمقام الأولياء كائن ما كانت درجاتهم في الولاية ، وأن ظهور الكرامات على يد بعض الصوفية على غير تعمد منهم مردود لأنهم ليسوا معصومين كما هو الحال بالنسبة للأنبياء فهم – عليهم السلام – فيتمكنون على الدوام في كل ما يعرض لهم من الأحوال، ولهذا ذهب أبو يزيد البسطامي –رحمه الله– (١)، وذو النون المصري –رحمه الله– (٢)، ومحمد بن خفيف(٣)، والحلاج (٤) ويحيي بن معاذ والرازي (٥)، وغيرهم إلى أن ظهور الكرامة إنما يكون في حال السكر، وما يكون في حال الصعود هو معجزة الأنبياء"(٦)

بينما أهل التصوف وشيوخ المحققين وأهل المعرفة كانوا على أعلى درجات الصدق والشريعة والعقيدة والأخلاق جعلوا الولاية والاقتداء بالأولياء هو ما يوافق الكتاب والسنة والاعتدال.

---

(١) ترجمة أبو يزيد البسطامي سلطان العارفين، طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أحد الزهاد وكان جدة بشروسان مجوسياً فأسلم قال: "ما وجدت شيئاً أشد على من العلم توفي ٢٦١ – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨)، سير أعلام النبلاء، شعيب الأرناؤوط، مكتبة الرسالة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.ج ١٣ص٢١٣، ١٠٦.

(٢) ترجمة ثوبان بن إبراهيم، أبوه نوبياً وكان رجلاً نحيفاً يعلوه حرة بيض اللحية، واحد من علماء وقته ورعاً وحالا القشيري، الرسالة القشيرية، ص٤٥.

(٣) محمد بن خفيف الشيرازي أبو عبد الله أحمد الأوتاد، صحب الجريري وبن عطاء وغيرهم، ومداخلهم بالظاهر، شافعي المذهب، مات في رمضان ٣٧١ لابن الملقن عمرو بن على بن احمد المصرى'طبقات الاولياء'تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجى 'القاهرة '١٤١٥'١٩٩٤'ص ٩٢

(٤) أبو المغيث الحسين بن منصور، البيضاوى ،الوسطى صحب الجنيد وختلف فيه المشايخ 'ابن الملقن 'طبقات الاولياء 'ص١٧٨

(٥) أبو زكريا يحيي بن معاذ الرازي، نسج وحدة في وقته له لسان في الرجاء خصوصا كلام في المعرفة خرج إلى نيسابور ومات بها ٢٥٨هـ، القشيرية الرسالة القشيرية، ص٧٠.

(٦) أحمد الجزار، المعرفة عند أبي سعيد بن أبي المفر، ص١٠٨.

ولنا سؤال ما هى حقيقة الولاية عند مصطفى عبد الرازق؟ وعلى ضوء هذا فإن اسم الولاية عنده مأخوذ من قوله تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١)، وقوله تعالى: (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) (٢) وعلى ضوء هذه الآيات . فان حقيقة الولاية الاتصال الدائم في فلك الطاعات والانصراف عن السواء

وعلى ضوء تلك الآيات القرآنية وغيرها فماده الولي على ما يرجحه أئمه المفسرين كالطبري والزمخشري والرازي تدل كما يرى شيخنا على معنى القرب فان احمد الجزار يرى أن الولاية بمعنى القرب وفقا للاستقامة على الكتاب والسنة.(٣)

ولكن يرى مصطفى عبد الرازق أنه سرعان ما تطور كما يقول تبعا لما حدث في الملة من المذاهب المختلفة وتبعا لتطور التصوف نفسه فأصبح الولي عند المتكلمين كما يقول هو من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالأعمال الصالحة على وفق ما أتت به الشريعة.(٤)

أما الولاية عند الصوفية فلها جهتين:

أولهما: من يتولاه الله بعنايته ورعايته فيكون وليا باجتباء من الله.

وثانيهما: من يتولى عباده الله والتقرب إليه بالطاعة بأداء الفرائض والنوافل وبهذا المعنى الأخير كانت الولاية حقا متاحا لكل المؤمنين.(٥)

---

(١)- سوره البقرة الآية: ٢٥٧.

(٢)- سورة الأعراف الآية :١٩٦.

(٣) - أحمد الجزار، الفكر العربي والمصري المعاصر قضايا وشخصيات، مكتبة دار الوفاء الإسكندرية، ٢٠٢١ م.ص١٩٧.

(٤) - أحمد الجزار ،التصوف عند رواد الفكر المصري المعاصر، ص ١٦٣.

(٥) - المصدر السابق ص ١٦٢.

و خلاصه الولاية كما يرى مصطفى عبد الرازق عبارة عن دوام الانشغال بالله تعالى، ولذلك "أوصى إبراهيم بن شيبان ابنه إسحاق فقال: تعلم العلم لأدب الظاهر واستعمل الورع لأدب الباطن وإياك أن يشغلك عن الله شاغل فقل من أعرض عنه فاقبل عليه. .(١)

وكذلك ربط مصطفى عبد الرازق بين الولاية والمعرفة عند الصوفية لأن كمال الولاية عندهم يتلازم عنه المعرفة بالله فتكون المعرفة بالله بوصفها استحقاقا لولايتهم.(٢)، وانطلاقا من الفهم العميق لأحمد الجزار للشريعة الإسلامية شريعة وعقيدة نجد أن أحمد الجزار يكشف عن حقيقه **الولاية للمرأة فهل لها حق الولاية في الإسلام كما هي للرجل أم لا؟**

يرى الباحث أنها ملحظ في ذات الأهمية وهي إشكالية يغيب الكشف عنها عند الصوفية وخاصة في عصرنا هذا وسرعان ما نجد أحمد الجزار يأتي منصفا ليكشف للصوفية حق المرأة من خلال رؤيه الشيخ مصطفى عبد الرازق حيث يقول: حصول الولاية للمرأة لا غرابة فيه لأن الولاية بحسب تصور القرآن أنها حق متاح لكل المؤمنين إذ الذكورة والأنوثة هنا لا محل لها ما دام الكل يتحققون معنى العبادة الكاملة والطاعة لله المأمور بها في كتابه الكريم وكما بينتها السنه النبوية المطهرة.(٣) قال تعالى: (إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)(٤)

وعلى هذا فإن القرآن الكريم والسنة النبوية لم تفرق في الإيمان والمعرفة بين الذكورة والأنوثة قال تعالى:(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ

---

(٢) أبن الملقن، طبقات الاولياء، ص ٢٢ .

(٢) – أحمد الجزار ،التصوف عند رواد الفكر المعاصر المصري ص ١٦٣.

(٣)– أحمد الجزار ،التصوف عند رواد الفكر المعاصر المصري ص ١٦٤.

(٤)– سورة الشعراء الآية ٨٩.

وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (١) ،وكما يقول شيخنا مصطفى عبد الرازق: أن ذكر المتصوفات وسيرتهن شاهد ومثل يحتذى به.(٢)

ذكر صاحب جامع كرامات الأولياء كثيرا ممن لهم المعرفة والولاية والكرامة.(٣) ولكن الكرامات عند الصوفية تأتي ملازمة للولاية ويعولون عليها كثيرا في تقديرهم لمكانه الأولياء بل تقديسهم للأولياء من شيوخهم هو بحجم ما وقع منهم من كرامات ولكن الاعتدال والوسطية يحتم عدم الغلو، وجاء هذا الغلو من قبل اتباع الطرق الصوفية وليس من شيوخهم المحققين من الأقدمين وذلك لعدة أسباب:

السبب الأول: غياب العلم وخاصة العلم بالأمور الشرعية حيث نجد في عصرنا هذا أن هناك من يترك العمل في بعض الأحيان ويذهب إلى بعض الموالد أو يترك واجب فرض صلاه الفجر ولكن يقضي الليلة في ورد من الأوراد ونسي أن النبي – صلى الله عليه وسلم– كان له اجتهاد من غير إجهاد ونسي أن الاعتدال لا يصح الاستهانة به.

ونجد أحمد الجزار يجسد هذا المشهد فيقول: فقد تحصل الولاية دون أن يصحبها الكرامة ولا يعني هذا نقصا في الولاية إذ قد ينالها أي الكرامة الممكور به.(٤) وهذا الفهم العميق يحتاج إلى علم بالتصوف وعلم بالعقيدة وعلم بالأمور الشرعية.

---

(١)– سورة الأحزاب الآية ٣٥.

(٢)– أحمد الجزار، التصوف عند رواد الفكر المعاصر المصري ص ١٦٧.

(٣)– يوسف بن اسماعيل النبهانى ،جامع كرامات الأولياء، تحقيق ابراهيم عطوه عوض ،مركز اهلة بركات رضا فور بندر غجرات الهند ٢٠٠١م ص ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ .

(٤)– أحمد الجزار، التصوف عند رواد الفكر المصري المعاصر ص ١٦٧.

إن الشريعة الإسلامية قائمة على الاعتدال والسماحة وهذا هو الدور الهام في التربية الخلقية، وما دام التصوف يمتاز بهذه الخاصية فهل التصوف له دور في التربية الخلقية؟

يجسد لنا أحمد الجزار هذا الدور وهذا الملمح فما هو دور التصوف في التربية الخلقية؟ فمن خلال تصور قلم أحمد الجزار للفكر الإسلامي عند مصطفى عبد الرازق يثبت لنا أن الكمال الروحي في العبادة عنده لا ينفصل عن الكمال الخلقي في الإسلام وأن كمال العبادة ضرورة لتحقيقها على هذا النحو يستوي فيه الرجال والنساء وجدناه يعطي نصيبا موكداً على هذا الجانب الخلقي الذي يسمى التصوف ودليل تفرد هذه الطائفة بجميل الأخلاق.

" وقيل كان أبو معاوية الأسود – رحمه الله– يدعو لمن نال منه"

وقال وشتم رجل بكر بن عبد الله المزني رحمه الله وبالغ في شتمه وهو ساكت فقيل له ألا تشتمه كما شتمك فقال إني لا أعرف له شيئا من المساوئ حتى اشتمه به ولا يحل لي أن أرميه بالكذب.(١)

والتصوف بين معترك المذاهب تسامحا صرفا إسلاميًا كل ما مر به من الأزمان فالصوفي كما يقول أبو تراب النخشبي: لا يكدره شيء ويصفوا به كل شيء.(٢) ، والصفاء المنشود عند الصوفية ثلاث درجات صفاء وعلم يهذب السلوك الطريق ويبصر به غايه الجسد ويصحح همه المقاصد ،وصفاء حال المشاهد به شهاده التحقيق ويذاق به حلاوة المناجاة وينسى به الكون وصفاء اتصال يدرج حفظ العبودية في حق الربوبية.(٣)

---

(١)- عبد الوهاب الشعراني، تنبيه المغتربين تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبه الثقافة الدينية، ص ١٤٢.

(٢)- أحمد الجزار، قضايا وشخصيات صوفيه ص ٢٣٨.

(٣)- زكريا الأنصاري ، منازل السائرين، دار الكتب العلمية٢٠١٣، بيروت لبنان ص١٩.

من أجل ذلك فإن التصوف الذي ليس فيه إفراط ولا تفريط يصبح قائدا للأخلاق وهو التصوف المعتدل الذي يثمر صلاحا للتقوى.(١)

وأثبت أحمد الجزار خلال كتاباته عن تصوف مصطفى عبد الرازق أن من أقسام الفلسفة الإسلامية الرؤيا والحقيقة والتصوف الإيجابي أن الولاية في أعلى المراتب الروحية ولا تنال بالعبادة القاسية أي أنه شديد النكير على كثير من البدع الصوفية.(٢)

ويرى الباحث في نهاية المطاف أن رؤيه وكتابات الجزار تتميز بالشفافية والواقعية التي تبعث فهم وروح الوسطية والسماحة الإسلامية التي تجعل الباحث أو القارئ يتوصل إلى كبد الحقيقة والمعايشة الفعلية والزاد والراحلة التي ترسل الوعي الثاقب دون صعوبة وعناء.

فلا يستطيع الباحث أن يجزم بأن يجد غضاضه بينهم وبين روح التصوف ولا يجزم بأن الصوفية كلهم منحرفون ولكن هناك فارق بين المنهج الصوفي ودراسة التصوف وبين من يحيد عن الجادة ويسعى باعثا محافظا على نور التصوف الذي جاءت به الشريعة الإسلامية نجد أن قلم الجزار ينادي على دولة المعاني وقيمة العروج الروحي والكمال الأخلاقي من غير إفراط ولا تفريط، قال الله تعالى(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)(٣)، ففي قوه الأسلوب العلمي مع الواقعية التي تدعو إلى إيجابية التصوف تتجلى كتابات الجزار في اختيار الشخصية والفكرة التي لها رسالة إصلاحية مع وجود البحث العلمي الكامل الأركان.

---

(١)- أحمد الجزار ،قضايا وشخصيات صوفيه ص ١٣٤.

(٢)- المصدر السابق، ص ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥.

(٣)- سورة آل عمران الآية ١١٠.

بين النبوة والولاية:-

هناك فارق بين النبوة والولاية وهناك فارق بين شعور حال المبتدئ والمنتهى وأيضاً في شأن الولاية وهذا هو الفرق بين الولاية عند أبي سعيد و الولاية عند فخر الدين الرازي لذلك أهتم الجزار بالتأكيد على أن حال الأولياء مهما بلغت مرتبتهم أو تعددت كراماتهم، يظل دوماً دون مرتبة الأنبياء وقد أدرك الرازي هذه الحقيقة الثابتة نقلاً وعقلاً كما يقول، وكان على وعى بالفارق بين مرتبة الأولياء ومرتبة الأنبياء طوال الوقت، ومن ثم لا وجود لما يسمى بختم الولاية عنده؟ وهو أمر يستقيم حين جعل الولاية كسبا و بابها مفتوح أمام الصالحين من عبادة وعلى الدوام] (١).

"فإن الكسب من فضل الله، كما الهبة من فضل الله ومرتبة الختمية لا خلاف أنها من منح الله تعالى كما أن مرتبة الصديقة من فضل الله تعالى وسائر المقامات ،وما دام الإيمان يزيد وينقص فهناك اذاً درجات في الولاية، وسم هذه الدرجات بأي اسم شئت، فإنه كما يقول الأصوليون لا مشاحة في الاصطلاح والأمر في هذا التقسيم، وفى التسمية لا يثير جدلاً إلا عند من يفهم الجدل فإنه ما دام هاك زيادة ونقص فهناك درجات، ومادام هناك درجات، فإنه يمكن وضع أسماء لهذه الدرجات والله سبحانه قسم أولياءه إلى درجات كثيرة (٢)،" فهو يقول سبحانه (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً) (٣).

---

(١) أحمد الجزار، كتاب تذكاري مقام عالم وطريقة فكر، مقدمة عصمت نصار، ومجدى ابراهيم ، ص٤١٠.

(٢)عبد الحليم محمود، العارف بالله سهل بن عبد الله التستري، حياته وآراءه، دار المعارف، القاهرة ، ص١١٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٠.

ولقد أحسن صنعاً الجزار عندما أثبت جواز وقوع الكرامات الذي أثبته شيخنا، مصطفي عبد الرازق والإمام محمد عبدة، الكاملين في مرتبة الولاية من النساء والرجال لأن ذلك مما يجوزه الاعتقاد ولم يمنعه في الوقت ذاته إنكار وقوعها أيضاً وخاصة إذا بلغت حداً فاقت به المنقول والمعقول، ولربما لهذا السبب وجدناه يكشف عن طرف خفي إلى رفضها لأنها صارت شغل الذين تعلقوا بالأولياء في عصر ما بين الصوفية، فصار كل همهم إسباغ وقوع الكرامات على أيديهم كلما طلبوها منهم في أوقات الشدائد) (١). ومن هذه الحيثية يقع البعض بين الإفراط والتفريط ويختلط على بعض الناس فتصبح الأوهام هي المسيطرة على عقولهم ولذلك يرى أحمد الجزار (أن الكرامات والاستغراق في قبولها يفتح مجالاً واسعاً للخرافات فضلاً عما في هذا من تعطيل للأسباب الكونية التي أودعها الله في الكون) (٢).

التصوف وفقه أعمال القلوب.

تتجلى أعمال القلوب عند أحمد الجزار فيما فرض الله تعالى وخاصة عبادة الصلاة لأن القلب عن الصوفية هو محل العبادة وبيت التجلي ومقر الأحوال الباطنية ولكن هناك من يقف عند الهيئة والشكل وهناك من يهتم بالقلب والجوهر ولكن الصوفي يقف عند الشكل والهيئة والقلب والجوهر وكذلك للقلب توجه وكيفية، فإن الصوفي يجعل للقلب سجود وخشوع كما أن للجوارح ركوع وسجود.

ولذلك كان سهل (أي سهل التستري) في طريق "سجود القلب" وكم من ولي كبير الشأن، طويل العمر مات وما حصل له سجود القلب، ولا علم أن للقلب سجوداً مع حقيقه بالولاية ورسوخ قدمه فيها، فإن سجوده إذا حصل لا يرفع رأسه أبداً من سجدته فهو ثابت على تلك القدم الواحدة التي تتفرع منها أقدام كثيرة، فمن عين واحدة هو عليها ثابت يعبر عنها سجود القلب) (٣).

---

(١) أحمد الجزار، التصوف عند رواد الفكر المصري المعاصر، ص١٧٠.

(٢)المصدر السابق، ص١٧١.

(٣) عبد الحليم محمود، العارف بالله سهل بن عبد الله التستري، ص٢٣.

و الاعتناء بالقلب عند الصوفية من أصول طريقتهم لأن العبادة من غير أن تسكن في القلب لا فائدة منها والعقل هو الدال إلى القلب ولكن الإخلاص والأحوال والمقامات محلها القلب والإيمان والنية ومراتب الإيمان والمعرفة إنما مصدرها القلب، فإن أسرار العبادة من الفرائض كانت من نصيب القلب، فإن الجوارح لها قبلة والقلب له نداء وأحوال باطنية، وله أعمال غير أعمال الجوارح وهناك الأثار المترتبة على عمل الجوارح، من النظافة والبهجة، وهناك الأثار المترتبة على أعمال القلوب، ولكن من المؤكد أننا ندرك الأثار والأعمال وبمجرد إدراكنا لها تصف لنا من فورها شيئاً من تلك الأحوال الباطنة فتخبرنا عن فاعليتها وتوجهاتها وتحيطنا بدخائلها في الوعي الغائر العميق السحيق المستقر – في غير استقرار – في تابوت الحكمة (القلب) وحينما ندرك بالذوق مثلاً– ومدارك الذوق عزيزة ونادرة– مقومات الاستقامة والصلاح) (١)، فإن الصوفية ينظرون إلى القلب من اتجاهات مختلفة وعند المحققين له الاهتمام الأكبر وخاصة بأعمال القلوب.

دور العبادة في أعمال القلوب.

فإن أحمد الجزار يشير إلى أسرار العبادات ودور هذه الأسرار في المعراج الصوفي المقبل على ربه، وخاصة الفرائض، فإن الصوفي أحوج ما يكون لهذا العروج الروحي وما يجده في الصلاة لا يجده في غيرها، وكذلك سائر الفرائض، وإن الأحوال والمقامات والأعمال الباطنة في القلب لا تجد نزلها إلا في معرفة هذا العروج وهذا ما يسمى بفقه أعمال القلوب.

(١) مجدي إبراهيم، حديث الولاية إضاءات معرفية للدعاء والمرتكزات، ص١١١.

(ولهذا كانت من لوازم المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ﴾(١)، بل هي حقيقة المؤمنين المتقين والعاملين لقوله: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٢)، ومن ثم فالعبد مأمور بإقامتها والمحافظة على هذا في كل أوقاتها لقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(٣) (٤)، ولذلك ناقش "أحمد الجزار" العبادة كركن أساس لابد فيه من تحقيق للكمال الروحي من خلال نقطتين:

العبادة بين الشريعة والحقيقة.

يقول أحمد الجزار (فإذا كان ذلك كذلك (أي أسرار العبادات) فإن الرازي-رحمه الله- يتفق تماماً مع الصوفية، فليس الذكر عندهم عبادة قلبية وحسب بل هو كذلك وسيلة من وسائل العرفان، ولهذا جعله سمة لأعمال القلوب كلها من مقامات اليقين ومشاهدة العلوية من الغيب) (٥).

ولكن من الملفت للنظر أن الصوفية المحققين عندهم الذكر منشور الولاية فإن الذكر لا ينفصل عن سائر الأعمال ولكن الذكر مقدم عند الصوفية لمرتبة الولاية ومن أجل (ما ذكره الرازي من موازنته بين فضيلة الفكر والذكر ويفصح من خلال تلك الموازنة على تفضيله للذكر على الفكر بعد أن فطن للدلالة العرفانية للذكر على طريق الصوفية) (٦).

---

(١) سورة النسا ء، الآية: ١٠٣.
(٢) سورة البقرة، الآيتين: ٢،٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٣.
(٤) أحمد الجزار، فخر الدين الرازي، ص٧٢، ٧٣.
(٥) أحمد الجزار، كتاب تذكاري مقام عالم وطريقة فكر، مقدمة عصمت نصار، ومجدى ابراهيم ، ص٤٠٨.
(٦)أحمد الجزار، كتاب تذكاري مقام عالم وطريقة فكر، مقدمة عصمت نصار، ومجدى ابراهيم ، ص٤٠٨.

ومن أجّل أعمال القلوب ثمرة اتساع القلب وأهمية القلب بوصفة أداة للمعرفة من هذه الحيثية – وبالطبع فيما يتعلق بموضوع المعرفة– فيراه جوهر الإنسان (١).

فأما اتساع القلب فإنه يضيق على شيء واحد، وأما ضيقه فإنه لا يسع خاطرين معاً، فإنه إحدى الذات فلا يقبل الكثرة، وهذه هي التي تسمى خلوة الحق لا يفوز به إلا أخص أهل الله" (٢)، وهي من ثمرات أسرار العبادات وأعمال القلوب، فإن أسرار العبادة وخاصة الصلاة وسائر العبادات بتوجه وقصد القلب، "بمعنى أن يتحققها العبد بجوارحه الظاهرة والباطنة معاً) (٣).

ويرى أحمد الجزار أن السير في طريق أهل الله والصوفية والاهتمام والرسوخ في فتح أبواب القلوب والنظر والمراقبة والاعتناء بأحوال القلب والتأثر بالعبادات وتوجه النظر بالتفكر بالآيات القرآنية والسنة النبوية والوقوف والاعتبار قال تعالى: ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ وكذلك البصيرة وهي محل القلب وكل ذلك لا يكون إلا بالنظر إلى أسرار العبادات.

ويرى أحمد الجزار أن اعمال القلوب أشرف من أعمال الجوارح، وقول الرازي أن أعمال القلوب أشرف من أعمال الجوارح يذكرنا تماماً بقول المحاسبي العمل بحركات القلوب في مطالعة الغيوب أشرف من العمل بحركات الجوارح.(٦)

---

(١) أحمد الجزار، المعرفة عند أبي سعيد ابن أبي الخير، ص١٩.

(٢) محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عربي الحاتمي الطائي، الأسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار، والشرح عبد الكريم بن إبراهيم الجبلي، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.ص٧٥ .

(٣) أحمد الجزار، المعرفة عند أبي سعيد بن أبي الخير، ص٢١.

(٦) احمد الجزار ، الامام فخر الرازي ، ص٧١

ويرى الباحث أنه يجب النظر إلى أعمال القلوب ليس من جهة أيهما أشرف فحسب، وإنما ضرورة الشرف والأفضلية لهما معاً، لأن دخول السر إلى القلب لا يحدث إلا من باب الجوارح فلا ريب أنها (أي أعمال الجوارح) هي القوة المنفذة والتي تأخذ القصد والعزم من القلب ثم ترجع بالأسرار إلى القلب مرة أخرى ومادام لها حق التعبير والشهادة فلا نستطيع أن نبخس لها حقها قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ﴾(١).

ألا أن في جسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله(٢).

ويرى أحمد الجزار أن القلب هو محل البواعث، الأمر الذي له الأولوية في النظر إلى قيمة الأعمال التي تؤديها الجوارح الظاهرة، ويولى الرازي عناية بأعمال القلوب، لأن أعمال المكلفين عنده على قسمين: أعمال الجوارح وأعمال القلوب وقد أهتم الفقهاء بالأولى فشرحوا أقسام التكاليف المتعلقة بها لكنهم فيما يتعلق بأعمال القلوب لم يبحثوا عنها البتة مع أن البحث عنها كما يقول أهم، لأن أعمال الجوارح إنما تراد لأجل تحصيل أعمال القلوب (٣)، ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾(٤).

ويرى الباحث أن الفقهاء بحثوا في الضابط للأحكام ولكن لم يعدوا نفس الضابط لأعمال القلوب، لأن أركان الصلاة أو فرض الوضوء يستطيع الفقيه أن يبحث فيها ولكن لا يستطيع أن يشرح أركان الخشوع لكونهم يجدوا أنهم في حاجة إلى النية، والقصد، والعزم لأنها تتعلق بالمباحث الفقهية قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾(٥).

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٤.

(٢)صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، مطبعة المكنز ج١،ص٢٠.

(٣) أحمد الجزار، فخر الدين الرازي، ص٧١.

(٤) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٥) سورة طه، الآية: ١٤.

وأن من أهم أعمال القلوب في دائرة الفرائض الصلاة التي فرضها الحق تعالى على الإنسان كما فرض غيرها كالصيام والزكاة والحج، لهذا يتعين عليه إقامتها نحو ما أمره الحق في الصلاة – أول فريضة- فرضها الحق تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم، وهي في الوقت ذاته أخر ما أوصى به أمته (١)، ولذا جعلها الله تعالى ملاذ واستعانة وباب كشف الكروب والهموم وباب نور الاتصال بإعلاء الأعلى، وكشف حقيقة إقبال العبد أو إعراضه قال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ ﴾(٢) قال الإمام البيضاوي: -رحمه الله- (فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية، وإسباغ الخشوع بالجوارح، وإخلاص النية بالقلب، ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق، وقراءة القرآن، والتكلم بالشهادتين، وكف النفس) (٣).

ويرى أحمد الجزار أن الصلاة كلما كانت بهذه الأوصاف مجتمعة فإن خطرها عظيم وأمرها جسيم (٤)، بل ليس من العبادات ما يلحق العبد بمقامات المقربين إلا الصلاة (٥).

ولقد فطن أحمد الجزار من أول وهلة أن هناك فارق بين نظرة الصوفية ونظرة عامة المسلمين وعامة الفقهاء والقصد المحتم، وهي من أهم الفرائض التي ينبغي لصوفية العصر أن يتمثلوا ويتلبسوا بأسرارها.

---

(١) أحمد الجزار، الإمام فخر الدين الرازي، ص٧٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٣) عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي، ت ٦٩١، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتغيير البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ج١، ص٧٧.

(٤) أحمد الجزار، الأمام فخر الدين الرازي، ص٧٢.

(٥) أحمد الجزار، دراسات في التصوف الإسلامي، دار الوفاء ، الاسكندرية ٢٠١٥ص٢٠.

ويرى الباحث أنه ينبغي لمجالس الذكر والاحتفالات أن تنعقد مجالس لها المعراج الروحي فقد صارت عبادة.

ويرى الجزار أن الصلاة تتجلى فيها كل صفات الخشوع والخضوع وإظهار العبودية لله ظاهراً وباطناً ولهذا قرنها الحق تعالى بالصبر (١).

فإن دور فريضة الصلاة في إصلاح الظاهر وهو النظام عند الطهارة وهو أمر ظاهر، وكذلك لها الدور الأمثل في طهارة الباطن ومن الجلي أن الطهارة بهذا المفهوم الجامع للظاهر والباطن، لا يراد بها الطهارة من النجاسات والأوساخ الظاهرة وإنما يراد أيضاً بها الطهارة من الأوساخ الخلقية الباطنية وليس ببعيد أن يكون المراد من الطهارة هذه الطهارة متلازمة مع التوبة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾(٢)

وهذا المعنى العميق تتلبس به الصوفية، وهو من غاية الغايات.

ويرى الباحث أن هذا الشأن ليس سهلاً على كثير من الناس بل في عصرنا هذا نجد أن كثير من المصلين ليس لهم نصيب من الخشوع بل يدخل في الصلاة ولكن في الحقيقة لم يدخل إلا في كهف أفكاره سواءً أكان من الصوفية أو من عامة المسلمين، والسبب في ذلك أن كثير من المصلين لا يقصدون من صلاتهم المعنى الحقيقي لدور الصلاة وهو الاتصال الروحي بالكمال القدسي، والبعض يظن أن النافلة لها التأثير في المعرفة فإن الفريضة تمحو الخطرات والوساوس من القلوب.

---

(١)أحمد الجزار، دراسات في التصوف الإسلامي ، ص٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

يقول عبدالحليم محمود: والمؤمن يرعاها بالتثبت بالاستدلال بالعلم عند دواعي القلوب وهي الخطرات لأن الخطرات هي دواعي القلوب إلى كل خير وشر(١)، أما الطهارة عند الصوفية معنوية وحسية، طهارة قلب وطهارة أعضاء معينة، فالمعنوية طهارة النفس من نفاق الأخلاق ومذمومها، وطهارة العقل من دنس الأفكار والشبة، وطهارة السر من النظر إلى الأغيار) (٢).

وهذا في بدايات الطريق الصوفي ولا ريب أنها من أعمال القلوب ويرى الباحث كما أن الطهارة عمل لدخول المعرفة الإلهية وهي قبل الصلاة، كذلك في حالة الطهارة المعنوية التي ينبغي أن يكون عليها العبد المؤمن الصوفي قبل المعارف الصوفية.

ويرى أحمد الجزار أن الصوفية ليست بدعاً في هذا المفهوم الذوقي إلي خلعوه على الطهارة فهموا منه دلالة الوضوء للدخول في الصلاة) (٣).

وبعد الطهارة المعنوية والطهارة الحسية ينبغي للعبد الدخول في حضرة ربه حيث أصبح في تمام الأقبال على ربه، ويصبح من أهل مقام الخشوع وهو باب المعراج الروحي كما وصفه أحمد الجزار:" فإذا أردت أيها العبد الشروع في هذا المعراج فتطهر أولاً لأن المقام مقام الصبر، فيكن ثوبك طاهراً وبدنك طاهراً لأنك بالوادي المقدس طوى وأيضاً فعندك ملك وشيطان وأنظر أيهما تصاحب ودين ودنيا فإيهما تصاحب" (٤).

والصلاة في نظر الصوفي المتحقق هي المعراج الحقيقي لأنوار المعرفة، تبدأ من مقام الخشوع قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ ﴾(٥).

---

(١) عبد الحليم محمود، الرعاية لحقوق الله، لأبن عبد الله الحارث المحاسبي، دار المعارف، القاهرة، ص٨٤.

(٢) ابن عربي، الفتوحات المكية، ج١، ص٤٩٨.

(٣) أحمد الجزار، دراسات في التصوف الإسلامي، ص٢٥.

(٤) أحمد الجزار، الإمام فخر الدين الرازي والتصوف، ص٧٤.

(٥) سورة البقرة، الآية ٤٥.

يقول الإمام الألوسي –رحمه الله– لعظم شأنها واستجماعها ضروبًا من الصبر، ومعنى – لكبيرة – ثقلها وصعوبتها على من يفعلها ، على كل أحد ﴿ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ ﴾، وهم المتواضعون المستكينون، وأصل – الخشوع – الأخبات، ومنه الخشعة ، وإنما لم تثقل عليهم، لأنهم عارفون بما يحصل لهم) (١).

لا يتم الخشوع للمؤمن إلا بخطوات لابد أن يخطوها المؤمنين على شريط النية قبلها وبعدها وفى وسطها وهو الاستسلام بالكلية لله رب العالمين، ويفرغ قلبه من السوى والأغيار (فإذا أدى المصلي تكبيرة الأحرام بهذه الكيفية وهي رفع اليدين ليس مجرد حركة جسدية يؤديها العبد كشرط للدخول في الصلاة، بل لابد أن يلزم معه توديع عالم الدنيا وعالم الأخر، وإنما يتحقق العبد بهذا الأمر فعلية أن يقطع نظرة بالكلية عما سوى الله) قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(٢) وهذه الكيفية ترسل الروح إلى المعراج الروحي، وفى الوقت نفسه يتمتع بالذوق المعرفي، ويتمرن القلب على هذه الحقيقة.

وتطبع وتمكن القلب على أن :"الخشوع في الصلاة ومن ثم فلا يجب أن يقول من لم يخشع في صلاته فقد فسدت صلاته" (٣) .

ويرى الباحث أن القصد من الصلاة لعامة المسلمين لابد أن يتعرفوا على دورها النفسي، والقلبي، العقلي، أما الصوفية فإنهم يدركون أنها انتقال من مكان إلى مكان من عالم الأجساد إلى عالم المعرفة والذوق، ولكن لابد من رصد الصلاة لصوفية العصر فلا نستطيع أن نقول كل الصوفية ولكن البعض منهم من ينظر إلى أعمال القلوب بالأوهام أن دور المجالس والقصائد والمدائح لها الدور الأمثل في الصلاة وذلك لأن المريد في هذا الزمن لا يتوجه بالكلية إلى دور الصلاة في الطريق والسير (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجلٌ فصلى ثم جاء فسلم

---

(١) محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج١، ص٢٤٩.

(٢) سورة المؤمنون، ص ١،٢.

(٣) أحمد الجزار، دراسات في التصوف الإسلامي، ص٣١.

على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إرجع فصل فإنك لم تصل فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فسلما عليه فقال رسول الله وعليك السلام ثم قال أرجع فصلي فإنك لم تصلي حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال الرجل والذي بعثك بالحق ما أُحسن غير هذا علمني قال إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم أقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم أركع حتى تطمئن راكعاً ثم أرفع حتى تعتدل قائماً ثم أسجد ثم أرفع حتى تطمئن جالساً ثم أفعل ذلك في صلاتك كلها).(١)

ولكن الصوفية حين يفقهون أحكام الصلاة لا يتوقفون عند حد العلم بشرائطها الظاهرة، وإنما يجتهدون في الوقت نفسه في إقامتها على الوجه الذي يجعلها مقبولة عند الله تعالى، ومن ثم يلتفون إلى وقائعها الباطنة بحيث تكون بالقلب لا بالقالب وحده، وهم في هذا الشأن يزيدون عما حدده الفقهاء لما وقفوا عند أحكام الصلاة وشرائطها الظاهرة) (٢).

ويرى الباحث أن هناك فرق بين الصوفية المحققين وبين من هم في درجات الترقي، ولكن الحقيقة المجمع عليها أن منهج الصوفية هو ما كشف عند أحمد الجزار أنهم لا يقفون على حد الأحكام وإن كانوا بها يفعلون، والصوفية يتفاوتون في وصف الحالة الإيمانية ،قال العالم الصوفي الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري رحمة الله: عند الحديث جعلت قرة عيني في الصلاة، قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود، والنبي صلى الله عليه وسلم لم تقر عينه إلا بالله ولذلك قال في الصلاة ولم يقل بالصلاة) (٣).

---

(١) الامام مسلم، بن الحجاج القشرى النيسبورى ، المسند الصحيح من السنن بنقل العدل من رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح مسلم ، كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة جمعية المكنز الاسلامى القاهرة ١٤٢١ الجزء الاول ص١٦٧و١٧٧

(٢) أحمد الجزار، قضايا وشخصيات صوفية، ص٩.

(٣) الشيخ صالح محمد الجعفري، الإلهام النافع لكل قاصد، على رسالة لأحمد بن إدريس، دار جوامع الكلم، القاهرة، ص١٩٦.

وكذلك سائر الفرائض فإن الله جعل في الفريضة ما لم يجعله في النافلة، وهذه الحقيقة أبصرها الصوفية فنطقت بها أحوالهم .

فإن الله تعالى جعل فيها من الخصوصية لفقه القلوب وأعمال القلوب مثل الصلاة وسائر الفرائض مثل الزكاة والحج وفطن لهذه الحيثية أحمد الجزار في المنهج الصوفي الإسلامي وخاصة في منزلة عمل القلب.

يرى الجزار:" أن للصوم خصوصية بين سائر العبادات التي فرضها الحق تعالى، يقول تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾(١). فقد اختص به الحق تعالى لنفسه لما قال في الحديث القدسي كل عمل ابن أدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به. فقوله تعالى الصوم لي يرتد إلى صفة الصمدية ، فلا يحتاج إلى الطعام والشراب، ولهذا نسبة الحقة تعالى لنفسه لأن حقيقة المخلوق يقتضي التغذي"(٢).

وهذه النظرة المتعمقة التي تضع أول لبنة في دائرة الأعمال القلبية عندما يُقبل الصوفي على الصوم وتصبح هذه الفريضة من أول وهلة باب الاستمداد الروحي وتتدفق عليه أنوار العروج الإيماني، فلا ريب أنها تفتح له من درجات القرب الرباني، والمعارف الإيمانية، فيجب علينا أن نتعرف على شعائر هذه الفريضة في نظر الفقهاء ثم الصوفية ،قال ابن الأنباري: أنما سمى الصوم صبراً "أي في لسان العرب" لأنه حبس النفس من المطاعم والمشارب والمناكح والشهوات وقد يسمى الصائم سائحاً، منه قوله تعالى: ﴿ سَائِحَاتٍ ﴾(٣) يعني الصائمات المصليات(٤)، منه قوله تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٢) أحمد الجزار، فخر الدين الرازي، ص٨١.

(٣) سورة التحريم، الآية ٥.

(٤) عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التمري الأندلسي، ت٣٦٨ هـ، من معاني الرأي والآبار، شرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، تحقيق عبد المعطي، اميل قلعجي، دار قتيبة، دمشق، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٣م، ج١٠، ص٢٥٠.

(٥) سورة التوبة، الآية ١١٢.

إذن الصوم عند الفقهاء : شرعاً هو الإمساك عن المأكول والمشروب والشهوة ولكن الاقتصار على هذا الصوم تجريد لحقيقة الصوم بوصفه عبادة جامعة للجوارح الظاهرة والباطنة معاً" (١).

ويرى الباحث أن الصوفية يتهافتون ويبصرون المضمون وينظرون إلى الحكمة المنزلة في كل فريضة وخاصة فريضة الصوم، وينظرون إلى الحكمة ،فإنهم يعدون الحكم (الظاهر فوق العبادة) فإن الصوفية يتوصلون من الحكمة والمعارف إلى من له حق المعرفة وهو الله فلا يقفون عند الحكمة فحسب بل يعبدون رب الحكمة ولا يقفون عند الإعجاز والحكمة التي يعرفونها والتي لا يعرفونها.

ويجمع هذه الرؤية أحمد الجزار في أنوار عرضه (أن علة الأمر في ذلك أن تحقيق صوم الجوارح على هذا النحو إنما هو في أن يؤدي طبيعتها في حدود ما شرعه الله، وما لم يتحقق الصائم بصومه "صوم الجوارح عن الآثام الظاهر والباطن" بهذه الصفة، افتقد جوهر الصوم (٢) وذلك لأن الروح خلاف الجسد والمادة والروح تميل بطبيعتها إلى الطاعات والكمال الإيماني والقرب من الله حيث قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(٣).

وهذا المعنى الحقيقي والقرب الإيماني من الله تعالى وحين يصبح الصوم في جوهره بهذا المعنى فإنه يتحقق لصاحبه التحرر من عبودية الأشياء المادية سواء كانت من جنس المأكول أو المشروب) (٤).

---

(١) أحمد الجزار، قضايا وشخصيات صوفية، ص٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص٤٥.

(٣) سورة الرعد، الآية ٢٨.

(٤) أحمد الجزار، قضايا وشخصيات صوفية، ص٤٦.

والحرية عدم الالتفات لغير الله والتوجه لله بالكلية والاستغراق في المعرفة فإن طريق الصوفي أمامه مكبل بالشهوات والأهواء والرغبات من أجل ذلك يستعين الصوفي بالصوم حتى يخرج الروح من المادة والشهوات، إلى المعارف .

والحرية على ضربين:

الأول: من لم يجر عليه حكم الشيء نحو الحر بالحر.

والثاني: من لم تملكه الحصفات الذميمة من الحرص والشر وعلى المقتنيات الدنيوية فإن المعنى الصوفي قد ينطبق على الضرب الثاني، فتكون على عكس العبودية لغير الله، لأن العبودية فيما يرى الصوفي عبودية الشهوة والنفس والشيطان)(١).

إن انطلاق الروح وسيرها في حضرة ربها لا يكون إلا بمسلك فقه القلوب وأعمال القلوب.

ويرى أحمد الجزار أن قصد الأعمال سواء الصلاة أو الصيام وسائر الفرائض أعمال ظاهرة فحسب "فلا ينبغي أن تكون الصلاة أو الصيام مجرد عبادات تؤدي دون عناية إلى القصد منها على جوارح الإنسان الباطنية، وإلا كانت فارغة المضمون" (٢)، فإن المضمون هو الأساس بالنسبة للصوفي السالك إلى الله وفقاً لشرع والحنفية السمحة والاعتدال والوسطية التي جاء بها الإسلام لعقل والقلب والروح معاً، وفي الوقت نفسه يتحقق المعرج الروحي، ويبدأ "بنفي الخواطر الرديئة ودوام الحضور في الحضرة والقدسية ومجاهدة السرائر وهي مجاهدة خواص الخواص باستدامة الشهود وعدم الالتفات إلى غير المعبود"(٣).

---

(١)مجدي إبراهيم، الحرية عند ابن عربي، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م ، ص٣٠.

(٢) أحمد الجزار، المعرفة عند أبي سعيد ابن أبي الخير، ص٢١.

(٣) محي الدين بن عربي، الأسراء إلى المقام الأسري أو كتاب المعراج بتحقيق سعاد الحكم، مع دراسة عن المعراج النبوي، والمعراج الصوفي، ندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص٢٩.

فإن نظرة الصوفي للصوم إنما هي نظرة تحقيق ومعراج أو بالأحرى حقيقة من حيث إن مقصودة تصفية القلب وتفريغه – الصوم – لله عز وجل وحده وعلى ضوء هذا الفهم أو الوعي بتحقيقه، الصوم كان التفاوت بين الناس في الإتيان به كاملاً، أعنى من الجانبيين معاً الظاهر والباطن وهذا ما يكشف عنه الغزالي لأن المرتبة الأولى هي مرتبة أغلب الناس أولئك الذين يقفون بصومهم عند هذا معناه في الشرع بوصفه إنساناً عن شهوة البطن والفرج معاً، دون كف لجوارحهم عن الوقوع في الآفات الظاهرية والباطنية) (١).

ويرى أحمد الجزار أن المضمون عند الصوفية من الصوم هو الوسيلة لحقيقة القرب والروح الإيماني، وتحطيم قيود الشهوات، حتى يصل الصوفي إلى المعراج الحقيقي ومن هذا المنطق تختلف نظرة الصوفي عن غيره "والمرتبة الثالثة من مرتبة الأنبياء والصديقين والمقربين الذين صاموا بقلوبهم وجوارحهم عن كل ما سوى الله" (٢).

فإن فقه أعمال القلوب لا مناص أنه باب وسبيل "القصد الحقيقي من العبادة الحق والمعرفة التامة بالحق تعالى" (٣)، وكان إبراهيم القرشي يقول: لابد للمريد من المجاهدة مع الإخلاص، فإنه إذا صدق في معاملة الله تعالى في السرائر جعله على الأسرة والحظائر.(٤).

---

(١) أحمد الجزار، قضايا وشخصيات صوفية، ص٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص٤٧.

(٣) المصدر السابق ، ص٤٨.

(٤) عبد الوهاب الشعراني، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تحقيق طه عبد الباقي سرور، محمد عبد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ج١، ص٩٩.

فإن أعمال القلوب هي باب الطريق والسير، فلا نزاع عند الصوفية أن فقه القلوب يفتح الإخلاص والصدق وفنون المعاملة مع الله والخلوص إلى الحرية من الشهوات والملذات.

ويرى الباحث أن هذه النظرة الروحية من الواجبات الحقيقية عند الصوفية ويحتاج إلى معرفة دقائق القلوب من العُجب، أو الغرور، أو الحسد، الكبرياء ولا يعدل عن هذه الأمراض إلا إذا أنتبه وعرف العلل أولاً ثم بداء ينظر إلى تركها بوسيلة الصوم والطاعات ،حيث يقول الجزار: "هذا لا يعني إهمال الأعمال الظاهرة الكلية لأن كمال العبادة لا تتحقق إلا بإقامة حدودها الظاهرة والباطنة من غير غلو ولا تفريط"(١).

أي لابد من معرفة حدود كل فريضة وفق الشرع الشريف هذا حق الشكل والظاهر لكل فريضة ولا تتنافي في القصد القلبي وهو عمل الباطن وفقاً أيضاً للشرع الشريف ولا يعني هذا أن العقل ليس له دوراً ولكن العقل من جنود القلب فيصبح الدور أو العمل له صفة الكمال، وأعمال الظاهر وأعمال الباطن أو الشريعة الحقيقية وقد قام أحمد الجزار بتوضيح العلاقة بينهما ولم يكن دفاع مؤلف الكتاب عن العديد من أفكار الصوفية من خلال الكشف عن حقيقة أراءهم في نظرة "العراقي" ليستخلص منها في هذا السياق وقوفه على حقيقة الصراع بين الفقهاء والصوفية، اتهامهم للمتصوفة بالكذب والتلفيق، بأنهم يهملون الأمور الشرعية حين يركزون على فقه "الباطن أكثر من تركيزهم على العبادات الظاهرة"(٢).

---

(١) أحمد الجزار، فخر الدين الرازي، ص٧٢.

(٢) أحمد الجزار، كتاب تذكاري مقام عالم وطريقة فكر، مقدمة عصمت نصار، ومجدى ابراهيم ، ص٣٥٣.

ولهذا كان القلب عنده هو أداة تلك المعرفة ولكنه لا يتأتى للقلب المعرفة بالله وعن الله إلا إذا خلا من حجاب النفس بوصفها تقف عقبة كؤود في تلقي إشراقات الحق على قلب عبده، فإذا أمكن أن يتخلص من تدبيرها ويتجرد من علائقها(١) .

ويعلق العراقي على هذا النص في عبارة يراها بالغة الدلالة لأنها تفرق بين دلالة البديعية والفلسفية والأدلة الجدلية الكلامية، من جانب وبين الطريق الذوقي القلبي الوجداني هو جانب أخر فالصوفية يعرفون إليه بالله تعالى، وليست معرفتهم آتية من طريق أدلة نظرية كتلك الأدلة التي قدمها لنا علماء الكلام والفلسفة"(٢).

ويرى الباحث أن القلب له أكثر من دور ففي أول الطريق يبدأ بالنظافة الإيمانية وكأن حال القلب يبدأ مع أول حياته وهي طهارة الظاهر ثم يندرج كلما ترقى وصفا حتى تصبح أعمال القلوب بالطاعات شأنه الذي لا يفارقه وهذا هو شأن السادة الصوفية .

التصوف و الأخلاق.

فإن الأخلاق مع الحق ومع الخلق وهو المراد الذي يجب على الصوفي المحقق أن يكون الهدف الأسمى ولذلك فإن الصوفية عندهم الأخلاق في العبادات والمعاملات سواء المعاملات القلبية، أو المعاملات الحياتية.

ويرى الجزار أن هذه الحقيقة العلمية التي لا مراء فيها ولا غموض حيث يقول: "أن التصوف كعلم ديني للأخلاق الإسلامية قد مرت عليه ظروف وكان من شأنها تعدد مفاهيمه، ولكن يظل هناك أساس واحد للتصوف لا خلاف عليه كما يقول التفتازاني أنه أخلاقيات مستمدة من الإسلام) (٣).

---

(١) المصدر السابق ، ص٣٥٥.

(٢)حمد الجزار، كتاب تذكاري مقام عالم وطريقة فكر، مقدمة عصمت نصار، ومجدى ابراهيم ، ص٣٥٥.

(٣) أحمد الجزار، الفكر المصري المعاصر، ص١٤٩.

وأما الخلق فهو عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث إن تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسنا" (١).

لذلك قال أنس- رضي الله عنه- كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أحسن الناس خلقاً فأرسلني يوماً لحاجة فقلت والله لا أذهب وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله قد قبض بقفاي من ورائي قال فنظرت إليه وهو يضحك فقال يا أنس أذهب حيث أمرتك قال قلت نعم أنا أذهب يا رسول الله" (٢).

نعم لقد وصفه الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وكذلك جمع صفات الأخلاق المحمودة أيضاً للعالمين وكذلك الفضائل في جملتها فإن استمدوا الأخلاق من الرسالة المحمدية من أجل الصور الكاملة المعتدلة قال تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

واختتمت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق دلالة قول التفتازاني في رأينا هو أن التصوف عنده هو علم الأخلاق الإسلامية – تلك الأخلاق التي لا تنفصل عن عقيدته وعبادته(٤).

وكذلك فإن نظرة الصوفية للأخلاق ليس شكلاً فحسب ولكن الباعث الحقيقي هو الدافع والوازع الإيماني والمعراج الروحي فليس مظهراً مجرداً ولكن الأخلاق لجوارح، والعقل والقلب، والروح، كل ذلك في التزكية لنفوس الصوفية فلا يتمثلون بالحلم مع إنسان ويتركون الحلم مع الحيوان أو مع إقامة العبادات ولكن نجد الحلم

---

(١) أحمد الجزار، كتاب تذكاري مقام عالم وطريقة فكر، مقدمة عصمت نصار، ومجدى ابراهيم ، ص٥٧٦.

(٢) الامام مسلم ، المسند الصحيح ، كتاب الفضائل، باب رسول الله أحسن الناس خلقاً ج٢، ص٩٩٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٥١.

(٤) أحمد الجزار، التصوف عند رواد الفكر المصري المعاصر، ص٢١٨.

مع كل فكرة وفقاً للشرع الشريف، إذا هم يطرقونا باب الجوهر والحقيقة للأخلاق وهي عندهم من أهم الوسائل إلى التوجه بالكلية لربهم ،وهذا ما أكده الجنيد–رحمه الله– حين قال: من حفظ القرآن وكتب الحديث يقتدي به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وأكد هذا المعنى أيضاً حين بين فضل الاقتداء بالرسول فقال: الطرق كلها مسدودة إلا على من أقتفى أثر الرسول "(١).

فإن التصوف يبحث عن حقائق الأخلاق وأصول فقه الأخلاق التي تجعل الصوفي متعبداً لله بالكلية في حركاته وسكناته.

ومن معاني الخلق: "أنه ملكة تصدر عنه الأفعال منه بسهولة ثم إن كانت الأفعال حسنة كالحلم، والعفو، والجود منحوها مسمى خلقاً حسناً، وإن كانت سنة كالغضب والعجلة والبخل سمى خلقاً سيئا" (٢).

أما طرق تحصيل هذه الأخلاق، فإن الأخلاق عند الصوفي ثمرة لرياضيات ومجاهدات الباطن، فإن الصوفي من استطاع أن يسيطر على المصدر الرئيس عندما يتخلص من النفس الأمارة ثم يسافر مع باقي النفوس

قال وهب بن منبه–رحمه الله–: "ما تخلق عبد بخلق أربعين صباحاً، إلا جعل الله له ذلك طبيعة"، فالخلق الحسن مكسب، والسيء يجاهد حتى يزول، والخلق الحسن يعدل الصيام والقيام، وهو ثمرة التصوف، فمن لم يحسن خُلقه فتصوفه أشجار بلا ثمار، ومرجع حسن الخلق: ألا تغضب، ولا تغضب ولا تبخل، ولا تحقد. (٣) .

---

(١) أحمد الجزار، كتاب تذكاري مقام عالم وطريقة فكر، إشراف عصمت نصار، ومجدى ابراهيم ، ص٥٧٧.

(٢) عبد الله أحمد ابن عجيبة، معراج التشوق إلى حقائق التصوف وكتاب كشف النقاب وسرائب الألباب، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ص٤٥.

(٣) المصدر السابق ص٤٥.

ومادام أن الشريعة الإسلامية والوحي السماوي قد أمر بالأخلاق، جعل فلاح الدنيا والآخرة بحسن الخلق فلماذا أهل التصوف تمثلوا بالأخلاق وقد أنشئوا له قواعد وأركان؟

يجيب عن هذا السؤال أحمد الجزار ويوضح الصلة بين التصوف والأخلاق "فقد لزم عن هذا كله أن يحرص الصوفية على التحلي بمحاسن الأخلاق جنباً إلى جنب العلم بالله على الوجه الأتم، وما ذلك إلا أنهم كما يقول السهروردي: أوفر الناس حظاً في الاقتداء برسول الله وأحقهم بإحياء سنته والتخلق بأخلاقه لأنهم وقفوا في بداياتهم لرعاية أقواله، وفى وسط حالهم اقتدوا بأعماله فأثمر لهم ذلك.

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

وبعد هذا العرض الموجز لملامح هذا البحث حول مفهوم الولاية وما يتعلق بها من مرادفات ، وما يتعلق بها من مسائل مختلفة لابد من بيان اهم النتائج التي خلصت اليها الدراسة وهي:

أولا: أن مفهوم الولاية بوصفها محض هبة لا يتعارض مع كونها اكتساب .

ثانيا: هناك فرق جلي وواضح بين الولاية والاجتباء.

ثالثا: جواز وقوع الكرامة لخلق الله تعالى.

رابعا: أن أعمال القلوب لها أهمية عظيمة في زيادة خشوع الجوارح.

خامسا: العبادات مليئة بالأسرار الروحانية والعروج الروحاني لا يتم الا من خلال اتقانها واعطائها حقها ومستحقها.

سادسا: أن الضابط للأحكام العملية مختلف تماما عن الضابط لأعمال القلوب.

سابعا: أن للعبادة الحقيقة دور مهم في الاتزان النفسي للإنسان.

المصادر والمراجع

١- أحمد الجزار، الفكر المصري المعاصر والتصوف، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦ م.

٢- أحمد الجزار، التصوف عند رواد الفكر المصري المعاصر، دار كنز ناشرون، بيروت، لبنان، سنة ٢٠٢١ م، ١٤٤٢ هـ.

٣- أحمد الجزار، المعرفة عند أبي سعيد الخير، ط الأولى، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م.

٤- الإمام أبو القاسم القشيري (٤٦٥)، الرسالة القشيرية، تحقيق العارف بالله عبد الحليم محمود والدكتور محمود الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.

٥- عبد الحليم محمود، العارف بالله سهل بن عبد الله التستري، حياته وأراءه، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٥ م.

٦- عبد الحليم محمود، الطريق إلى الله، كتاب الصدق لابن سعيد الخرّاز، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٩ م.

٧- أحمد الجزار، كتاب تذكاري، مسيرة عالم ومسار فكر، مقدمة عصمت نصار، ومجدي إبراهيم، نخبة من اساتذة الجامعات المصرية، تصدير محمد عثمان الخشت، مطبعة العمرانية، ٢٠٢١ م.

٨- مجدي محمد إبراهيم، حديث الولاية، إضاءات معرفية للدعائم والمرتكزات والثقافة الدينية، القاهرة ٢٠١٨.

٩- أحمد الجزار، فخر الدين الرازي والتصوف، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م.

١٠- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨)، سير أعلام النبلاء، شعيب الأرناؤوط، مكتبة الرسالة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.

١١- ابن الملقن عمرو بن علي بن أحمد المصري (٨٠٤)، طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.

١٢- أحمد الجزار، الفكر العربي والمصري المعاصر قضايا وشخصيات، مكتبة دار الوفاء الإسكندرية، ٢٠٢١ م.

١٣- يوسف بن اسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مركز أهلسنة بركات رضا فوربندر غجرات، الهند، ٢٠٠١ م.

١٤- الإمام عبد الوهاب الشعراني، تنبيه المغترين، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٨ م.

١٥- عبد الله الانصاري الهروي، (٤٨١)، كتاب منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.

١٦- ابن عربي، الاسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار، الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٢ م.

١٧- صحيح البخاري، الطبعة السلطانية، مطبعة الأميرية، بعناية د. محمد زهير الناصر، طبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ، دار طوق النجاة، ترقيم الأحاديث محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان.

١٨- عبد الله بن محمد الشيرازي الشافعي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير البيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م.

١٩- عبد الحليم محمود، الرعاية لحقوق الله لابن عبد الله الحارث المحاسبي، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٦ م.

٢٠- ابن عربي، الفتوحات المكية، أحمد شمس الدين، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١١ م.

٢١- محمود الألوسي البغداد، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢٢- صحيح مسلم، كتاب الصلاة، وجوب قراءة الفاتحة، جمعية المكنز الإسلامي، القاهرة، ١٤٢١ هـ، ج١.
٢٣- صالح الجعفري، الإلهام النافع لكل قاصد، رسالة لأحمد بن إدريس، دار جوامع الكلم، القاهرة.
٢٤- ابن عبد البر النمري الأندلسي، ٣٦٨، الاستذكار الجامع لمذاهب قفهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالايجاز والاختصار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار قتيبة، دمشق، بيروت، لبنان، ١٩٩٣ م.
٢٥- مجدي إبراهيم، الحرية عند ابن عربي، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م
٢٦- أحمد الجزار، دراسات في التصوف الإسلامي، دار الوفاء ، الاسكندرية ٢٠١٥ص٢٠.